



صورة الرجولة ورجولة الصورة في مسرود (الأسود يليق بك) لأحلام مستغانمي

شاكِر عجيل صاحبي الهاشمي
كلية التربية - جامعة واسط - العراق

shakeralhashimi@yahoo.com

*Received: 14 Apr. 2015,
Revised: 10 Jun. 2015, Accepted: 30 Jul. 2015
Published online: 1 (Sept.) 2015*

صورة الرجولة ورجولة الصورة في مسرود (الأسود يليق بك) لأحلام مستغانمي

شاكِر عجيل صاحي الهاشمي

كلية التربية - جامعة واسط - العراق

الملخص

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقارنة حضور الرجل في رواية "الأسود يليق بك" للروائية الجزائرية أحلام مستغانمي، فالرواية حاولت التصدي لموضوع الرجل من خلال جوانب وزوايا متعددة، فهي تمارس عملية السرد وتبني الحكاية استناداً إلى رؤية فنية وموضوعية خاصة، إذ تبرز موضوع الرجل في هذه الرواية بشكل يدل على أن الكاتبة تحاول أن تصنف الرجل إلى أصناف متعددة كأنها تسعى إلى إثبات وتأكيد ثنائية (الرجل / الذكر)، وعلى الرغم من أن الرواية لا تزدهم بالشخصيات الرجالية والنسائية على حد سواء إلا أنّ مستغانمي تحاول هنا أن تتحدى نفسها في عرض أكثر من سياق رجالي عبر شخصية رجالية واحدة، وهذا ما تؤمنه طبيعة الأحداث التي تكشف عنها الرواية القائمة أساساً على نسق حكاية يتراوح بين الماضي والحاضر والمستقبل.

إن البحث في هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة محاور رئيسية، في الأول تتم مناقشة "الصورة الإيجابية والصورة السلبية" للرجل، إذ يتم التعرف على شخصيات النمط الحكائي والفعلي لشخصية الرجل بين القبول والرفض، الحب والكراهية، الإيثار والأنانية، الصدق والكذب، ومجموعة من الثنائيات الأخرى التي تعرضها أحلام للموازنة بين شخصية وأخرى، أما الثاني: فإنه سيقترن على "الرجل - الكاشف أم المكشوف" وهنا يتم بحث فرضية الكشف الشخصي والسلوكي التي تسعى أحلام إلى توظيفها داخل الرواية من خلال قدرتها على جعل الرجل الأداة الكاشفة لمحاسن المرأة وإنسانيتها وفرادتها، من خلال حساسية الجنس لدى الرجل بطبيعة الحال، أما الثالث: فإنه يناقش فكرة الرجل من خلال المرأة بوصف الرجل (الأخر) الذي يقف بالصفة الأخرى من شاطئ المرأة، وبهذا تتم مقارنة موضوع الرجل في هذه الرواية ذات الحساسية الجنوسية العالية.

الكلمات المفتاحية: الجنس، الرجولة، الصورة، الشخصية، المرأة.



The Image of Manhood and the Masculinity of the Image in the Narrative (The Black Befit you) by Ahlam Mosteghanemi

Shaker Ajeel Sahi Alhashimi

Wasit University – Iraq

Abstract

This paper aims to explore the presence of man (masculinity) in the narrative “**The Black Benefits You**” by the Algerian Novelist Ahlam Mastaghanmy. The novel investigates the concept of manhood from different angles. Her narrative is based on pure artistic and objective visualization. The manhood theme indicates that she classifies man into various categories as if she were to prove and emphasize the duality of (man the masculine). Despite the fact that the novel is not equally packed with masculine and feminine characters the writer challenges herself by presenting more male context through one character. This is reflected in the nature of events as revealed by the novel which is truly based on the narrative tale technique between past present and future.

This paper discusses three main themes: First the discussion of the “positive image” and “negative image” of the male. The type of narrative pattern and the physical personality of the male between rejection and acceptance, love and hatred, selfishness and altruism in addition to a duality of honesty and lie. All these types are presented to create balance. The second theme will be restricted to man as the discoverer or the open. Here the hypothesis of personal and behavioral discovery as Ahlam tries to unravel and employ through her ability to make the male able to reveal the virtues, humanity and uniqueness of the female. This is done through the sensitivity of man towards sexuality. The third theme discusses the idea of the male through the woman perception as the male in the capacity of the (other) who stands at the other side of the woman shore. Thus this is the approach as carried out in the novel which is characterized with international masculinity and great sensitivity.

Keywords: Gender, manhood, image, character, woman.

صورة الرجولة ورجولة الصورة في مسرود (الأسود يليق بك) لأحلام مستغانمي

شاكِر عجيل صاحي الهاشمي

كلية التربية - جامعة واسط - العراق

تقديم :

إن إشكالية الكتابة النسوية إشكالية اجتماعية فكرية وفلسفية قبل أن تكون إشكالية أدبية أو فنية، فهي تمثل "خطاباً فكرياً وفلسفياً وسياسياً يهدف إلى صياغة حقوق عادلة وحماية قانونية للنساء، وتضم النسوية حركات Movements ونظريات وفلسفات متنوعة تهتم كلها بقضايا النوع gender وتدافع عن مساواة المرأة، وتجاهد من أجل حقوق المرأة ومصالحها"^١ وبما أن «للمرأة دوراً خطيراً في حياة الرجل»^٢، فإنه هذا التشاغل يؤدي إلى تلك الإشكالية وهذه الإشكالية تدفع المرأة بطبيعة الحال إلى السعي الفعلي للمطالبة بهذه الحقوق والكفاح ضد المساعي التي تحجم من قدرات المرأة وإمكاناتها، لذلك هي تحاول دائماً أن تترجم هذه الرغبة أو هذا (التمرد) إلى سلوكيات متعددة فكرية واجتماعية وفنية أدبية، أما الأدبية فتتمثل في الأدب النسوي و«هذا الأدب الذي تكتبه المرأة يسمى ببساطة، كتابة المرأة، أو الأدب النسوي أما الأدب الذي يعبر عن موقف محدد عقائدي ينبع من التعلق بما يعتقد صاحبه، أو تعتقد صاحبه بأنه سمات خاصة بالأنثى ورؤاها للعالم وموقفها

فيه فيسمى أدباً أنثوياً وهكذا يمكن الحديث عن النقد الأنثوي وعن الحركات الأنثوية وعن الأنثوية معادلاً للكلمة الإنجليزية (feminism)“^٣، وتبقى الروائية والكتابة الجزائرية أحلام مستغانمي من الأسماء النسائية الإبداعية البارزة عربياً في هذا المجال، إذ تمكنت أحلام عبر سلسلة من الأعمال الروائية والقصصية منذ ثمانينيات القرن الماضي من التعبير عن أبرز القضايا التي تواجه المرأة العربية بشكل خاص والمرأة في العالم بشكل عام؛ لذا فإنها تقصر أعمالها الروائية بالذات لتشتمل على كل ما من شأنه أن يقف حجر عثرة أمام تطلعات المرأة وحريتها وحقوقها، حتى أن إشارات كثيرة في نصوص أحلام مستغانمي توحي بعدم قبولها أو رضاها بمبدأ مساواة المرأة مع الرجل فحسب؛ بل هي تبحث عن القيم الإنسانية العليا التي تعتقد أنها تميز المرأة عن الرجل وتضعها في مرتبة إنسانية أرقى وأسمى.

إن رواية «الأسود يليق بك» لأحلام مستغانمي رواية ذات طابع إنساني وجداني عال، إذا نجحت مستغانمي في التأكيد على ضرورة مناقشة موضوع

٢- نسيم طير: التجربة النسوية الروائية الانكليزية رواية "ليل لا ينتهي" لـ (أغانا كريستي) نموذجاً، رسالة ماجستير، بإشراف: د. ليلي جباري، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١: ١١، وينظر: النسوية في النقد الأدبي- محاضرة قدمت في الجامعة الأردنية -٢٥/ ١١ / ٢٠١٢، علي نصح موسى - شاعر وكاتب من فلسطين عن الأنثوية: arabs48.com/?mod=articles&ID=78673

١- الخطاب النسوي والجسد "رؤية موجزة، حسني إبراهيم عبد العظيم عضو هيئة التدريس - قسم علم الاجتماع - كلية الآداب جامعة بني سويف، عن الأنثوية: -montadarabi.com/t3155-topic

٢- دي بوفوار: كيف تفكر المرأة، لسيمون، مكتبة معروف إخوان، المركز العربي للنشر، الاسكندرية: ٧.

تحاول الكاتبة تحليلتها والرفع من شأنها، وصور سلبية عن الشخصية نفسها تزدريها الكاتبة وتحاول طمسها على وفق معايير اجتماعية وإنسانية عامة، أما النمط الثاني من صور شخصية الرجل فيتمثل في الصورة الانفرادية التي يتم لحظها بوصفها شخصية ذات نمط واحد تعرض لها الكاتبة سياقاً موحداً في التعامل مع الأحداث فإما أن تكون شخصية إيجابية وإما أن تكون شخصية سلبية ولا يمكنها تحمل الاثنين معاً، وأغلب التصنيفات هنا تخضع للشخصيات الرئيسية أو شخصية البطل داخل الرواية، لأن هذه الشخصيات تعد؛ جزءاً من حقل يمكن تسميته (بلاغة الشخصية) - سوسيو أسلوية- كما يعد البطل ضرورياً لأنسجام الحكاية وتضيقها⁽¹⁾، فضلاً عن ذلك فإن الشخصية الرئيسية أو البطلة تسجل بطبيعة تكوينها تعالفاً كبيراً مع الأحداث إن لم نقل أنها تسهم إسهاماً كبيراً في صنعها.

أ- الصورة الازدواجية للرجل:

يمكننا التعرف إلى الشخصية الازدواجية التي تعاني من "خلل أو اضطراب عقلي يعترى الذات فيصبح الفرد كمن يعيش جانبيين من الحياة لا يقوم بينهما اتصال، أي أن الازدواج يشير إلى تناوب شخصيتين الواحدة منهما مستقلة عن الأخرى"، فهي شخصية تكيل الأحداث بمكيالين متناقضين أحدهما يشير إلى عكس ما يشير إليه الآخر، وحتى على مستوى الخطاب واللغة يكون هناك نمط من الازدواج، ولعل شخصية طلال في الرواية من أبرز الشخصيات الرجالية التي يمكن عدها شخصيات ازدواجية، تتباين وتتعدد مواقفها من حدث إلى آخر وأحياناً تصل إلى مستوى الاختلاف والتناقض وهذا يعكس الحالة

الرجل بغية الوصول إلى حقائق تعمل على تجزئة الرجل وجعله مصنفاً على وفق صور وأنماط متعددة منها ما يقع موائماً لما تتمناه المرأة ومنها ما يقع مناهضاً لذلك، فضلاً عن ذلك فإن الرواية تؤكد ما تحاول مستغنامي فرضه من ضرورة اكتشاف هذه القيم الإنسانية والجمالية العليا للمرأة عبر حساسية علاقتها مع الرجل، إذ لا تصنف الرجال إلى صور فحسب؛ بل تعمل على توظيف الرجل في خدمة المرأة والعمل على صقل ما تمتلكه من إمكانات تميزها عنه، وليست المرأة في هذه الرواية إلا شكلاً فريداً من أشكال التميز العاطفي الوجداني والفكري عندما تعزز الكاتبة ذلك في محاولتها للنظر إلى الرجل على أنه (الأخر) الذي تتغير تجاهه حساسية المرأة وفقاً لشخصية المرأة المتعددة المتنوعة المزدهرة في هذه الرواية، من هنا فإن محاور ثلاثة يمكن لها أن تضع في تصورنا صورة الرجل في هذه الرواية.

أولاً: الصورة الإيجابية والصورة السلبية:

يتباين طرح الشخصيات في الرواية وفقاً لطبيعة بناء الأحداث من جهة وعلاقة الشخصيات بتلك الأحداث من جهة ثانية، وهكذا فإن رواية «الأسود يليق بك» رواية تعطي مؤشرات واضحة إلى أن كاتبها تعرض الرجل بوصفه شخصية ذات مزاج متقلب ومتغير، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى إخضاع شخصية الرجل إلى نوع من الفحص والتصنيف لتكون إزاء صورتين متناقضتين، صورة إيجابية تضع الرجل في مرتبة إنسانية واجتماعية وفكرية عالية، وصورة سلبية تحط من قدره وتجعله يتخلى عن السلوكيات التي تجعله رجلاً سوياً.

إلا أن الرواية تضمنت نمطين من الصور للرجل، فهناك صور ازدواجية يقصد بها احتمال تحلي الشخصية الواحدة بأكثر من أسلوب وأكثر من لون داخل الرواية، إذ ثمة شخصيات متحولة داخل الرواية تسلك أكثر من طريق على وفق الأحداث والمتغيرات، فينتج عنها صورة إيجابية

٤- زياد بركات: التفكير الإيجابي والسلبى لدى طلبة الجامعة "دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات"، جامعة القدس المفتوحة، برنامج التربية، منطقة طولكرم التعليمية، فلسطين، ٢٠٠٦: ١٠.

٥- موح عراك عليوي: الازدواجية الشخصية عصبية الانتماء والولاء الوطني "دراسة اجتماعية تحليلية"، جامعة بابل، عن الأنترنت: 7: www.pdfactory.com.

الازدواجية التي تعيشها الشخصية (طلال) لذلك فإننا نكون إزاء صورتين للشخصية نفسها الأولى إيجابية والثانية سلبية.

الأولى: الصورة الإيجابية:

إن الشخصية ذات الحضور الإيجابي تتمتع بما يمكن وصفه بـ "التعاضد الإيجابي" داخل المجتمع، لذلك يمكن تعريفها بأنها تستند إلى تفكير إيجابي «وهو عبارة عن مجموعة من العمليات العقلية والنفسية والاجتماعية التي يقوم بها الفرد من فهم واستيعاب، ومحاكمة واستدلال، وتذكر واسترجاع، وهي تدور عادةً حول موضوع ما، بشكل مترابط ومتناسق، وبسلسل منطقي معقول»، وتبقى شخصية طلال (الرجل) شخصية ذات حضور فاعل وإيجابي داخل الرواية من خلال جملة من السلوكيات الإيجابية التي انتهجها الرجل داخل الرواية، فعلى الرغم من أن طلال تلاحقه الكثير من الشكوك التي تتعلق بنواياه وتصرفاته الغريبة إلا أنه يبدو في أحيان كثيرة شخصية إيجابية فاعلة تحاول الكاتبة إبراز قيمها الاجتماعية والعاطفية والإنسانية العليا من خلال مجموعة من السلوكيات الحسنة وجملة من المعاني الإيجابية التي من أبرزها:

١. الحب:

على الرغم من أن طلال أفصح ذات حوار مع هالة عن ماهية العلاقة التي تجمعها بها، إذ يقول: «ما أريده هو صبي .. صبي يحمل اسمي، يرث ثروتي، يحرس شرفي، .. لكنها أمنية مستحيلة، زوجتي لا تستطيع أن تُرزق بطفل ثالث وهذه قسمتي في الحياة، لن أطلقها ولن ألجأ لذرائع دينية لأتزوج عليها، إنها أمُّ بناتي وأنا أحبها. اجتاحها حزن من سمع حكماً بالأحلام الشاقة، سألتُه بنبرة محطمة:

- وأنا

- أنت أمُّ أبنِي الذي لن يأتي^٧، إلا أنه ومن خلال سير الأحداث في الرواية أكد أنه يحبها ويحاول أن يترجم لها هذا الحب بكل تفاصيله السلوكية والنفسية، فالحب «هو شعور نفسي، وإحساس قلبي وانبعاث وجداني، يجذب به قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة، وعاطفة وبشر، والحب بهذا المعنى من المشاعر الفطرية المتأصلة في كيان الإنسان لا انفكاك منه، ولا غناء عنه^٨، إن طلال حرص على امتداد الأحداث التي مثلت معظم أحداث الرواية أن يكون الرجل العاشق الهائم المحب الذي يفاجئ محبوبته بكل ما هو مدهش ورائع وجديد، فضلا عن ذلك فإن لهالة هالة عشقية خاصة وظفتها لجعل طلال يعيش حالة العشق المثالي معها «توقف عن المشي وقال وهو يمرر يده على شعرها:

- لن تشقي بعد اليوم.. سنلتقي كلما استطعت، أنا أيضا أحتاج أن أتحدث إليك.

تمنت لو قال (أحتاجك) حاولت استدراجه إلى تلك الكلمة.

قالت:

- أحب أن تحتاجني .. الحب احتياج

- بل الحب اجتياح

راحت شفتاه تحتاحانها على مرأى قبيلة من الأشجار، كأنما قبلته درس تطبيقي لما قاله، بدا لها أن قبلته طالت حد احمرار أوراق الشجر استحياءً وغيره، وأنه حين توقف عن تقبيلها، كانت الفصول الأربعة بريعبها وأعاصيرها قد عبرتها في بضع دقائق^٩، إن هذا النص يكشف صراحة حالة الالتئام التي يعيشها الاثنان معا (طلال وهالة) فهو الرجل الرومانسي العاشق الذي يوفر لفضاء الحب كل مستلزماته ومتطلباته

٧- أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك، دار نوفل، ٢٠١٢: ٢٧٦.

٨- عبد الله ناصح علوان: الإسلام والحب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة: ٨.

٩- الرواية: ١٨١، ١٨٢.

٦- فيليب هامون: سمولوجية الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢: ٧٩.

التزام شرطي مسبق بانتهاج أو تحقيق أو استنتاج مسألة ما على المداومة والملازمة وإن من أبرز السمات لشخصية طلال في هذه الرواية هو إصراره ومثابرتة على ما يريد، فهو يسعى دوماً إلى تجزئة أهدافه والتعامل معها بصبر وروية حتى يتمكن من تحقيقها، إن سفره إلى البرازيل والعمل بتجارة البن كانا بمثابة الاختيار الصعب لقدراته كرجل يعيش في الغربة، لكنه تمكن من خلال ثقته بنفسه وإصراره على الاستمرار في السعي لتحقيق طموحاته أن يصنع من اسمه علامة بارزة في التجارة والاقتصاد، فضلاً عن امتلاكه ثروات طائلة جاءت من خلال تلك العقلية التجارية الفذة "اجتاز بوابة الأحلام كما لو كان يمشي في نومه"، ما عاد يحتاج أن يطالع حظه في فتجان قهوة، لقد غدت القهوة حظه وباب ثروته، مذ شاء حسن طالعه أن يهتم بتجارة البن، وأن ترتفع أسعار البن في الأسواق العالمية ارتقاعاً تاريخياً، بحيث حقق في سنتين ما أجلسه على امبراطورية تجارية أصبحت تشمل سلسلة مطاعم، وتجارة البن، والعقارات التي راح يستثمر فيها أمواله. حينها قرر أن يدخل سوق الرفاهية، ويشجع تحقيق ما حلم به دوماً، الاستثمار في عالم من الفرادة والفخامة، لا يدخله إلا من لا تعرف أحلامه التواضع، لن يقبل بعد الآن بأقل من التميز، فما الترف سوى ألا تشبه العامة في شيء، حتى عندما يتعلق الأمر بإرسال باقة ورد^{١٠}، لهذا فإن طلال حافظ على إصراره وثقته بنفسه حتى في القرارات التي يمكن أن تسيء له مستقبلاً وهذا ما يؤكد حماسه وفرادته وامتلاكه سمة رجل إيجابية.

٤. الحضور (الكاريزما):

إن الشخصية التي تتميز بحضور كبير (كاريزما) تعد من الشخصيات الإيجابية فالحضور أو الكاريزما «كلمة كاريزما أصلها يوناني تعني الهدية أو التفضيل الإلهي، فهي تشير إلى الجاذبية الكبيرة والحضور الطاغي الذي يتمتع به بعض الأشخاص، وهي القدرة

النفسية والاجتماعية، فضلاً عن قدرتها البارعة في تكوين سياق من الود والمحبة وإمكاناته الخارقة في ترويض الظروف وتذليل العقبات، وهذه بطبيعة الحال صفة إيجابية يمكن احتسابها لطلال (الرجل) الذي يستطيع أن يرسم بريشه أحاسيسه لوحات عاطفية فريدة.

٢. الكرم والإيثار:

إن الحب تضحية وكرم وإيثار، فالمحِبُّ يأثر لحيبه كل ما يتمناه لنفسه، والكرم والإيثار من أرقى وأسمى المعاني الإنسانية، وليس ثمة من شك في أن طلال وهو الرجل الغني الثري كان في أحيان كثيرة لا يفكر في نفسه قدر تفكيره في غيره، سواء تفكيره المقصور على الحبيبة أو الزوجة أو الأولاد أو حتى كلبه (أجلكم الله)، ليقول طلال: «كلبي يعيش مدلاً في بيروت، وأنا أعيش حياة كلب لاهتا بين الاجتماعات والقارات»^{١١}، وطلال يؤثر على نفسه حتى في اللحظات التي يعيشها لنفسه، فهو يحاول أن يبني عالماً من العاطفة والحب ويغمر به من يحب على حساب ماله ووقته وصوته المتعب «ها هو ذا أخيراً هو سعيداً ودوداً كما لو لم تراه يوماً ولكنه على احتفائه بها بدا هو نفسه غير مصدق، نسي أن يضمها راح يتأملها، بينما راحت تتأمل الشقة في أناقة أثاثها القليل المنتقى بذوق عصري راق (...). لحقت به إلى الشرفة فتح ستارة النافذة كان المنظر يطل على جادة تعبرها بعض السيارات، وعلى الطرف الآخر تمتد غابة تتوسطها بحيرة.

- تدرين كنت محظوظاً، فلما تعرض شقة كهذه للبيع من هذا العلو أحظى بمنظر خلّاب»^{١١}، إنه يحاول أن يقدم لها كل ما تتمنى بل إنه يسعى لجعلها تعيش كغراشة في غابة هائلة، وهذا الكرم والإيثار يمكن عده صفات إيجابية لطلال.

٣. الإصرار:

يعد الإصرار سمة شخصية إيجابية لكل رجل، وهو يختلف بطبيعة الحال عن العناد فالإصرار،

١٠- م. ن: ٢٧٢.

١١- الرواية: ٢٠٦، ٢٠٧.

١٢- الرواية: ١٤٩، ١٥٠.

أما الكراهية التي ترسبت في ذهنية طلال فإنها غالبية على أمره ولعل الحب الذي كان يحتفي هالة به إنما يتضمن قدراً كبيراً من الكره، ويمكننا أن نعرف الكراهية على أنها "حالة طبيعية تنتج من عدم قبول جزء من العقل المختص بالمشاعر والأحاسيس إلى بعض العناصر الداخلة إليه عن طريق الأعصاب الدقيقة وذلك نتيجة إلى تأثير العالم الخارجي على الشخص"^{١٦}، فضلاً عن ذلك فإنه يحاول أن يلبس قناع الحب ليمرر عليها ما يحتاجه هو شخصياً، هو يكره لأنه شعر بحجم التردد والضياع الذي عاشه خلال فترة عشقه الأول وهذا ما يترجم حساسيته المفرطة من التعامل مع الجنس الآخر كأنه يسعى إلى تطبيق شكلاً من أشكال الفعل الانتقائي على هذا النوع من الخليقة «كثيراً ما قالت له مازحة إنه يعمل عاشقاً أحياناً وطاقيةً بدوام كامل، فليكن لقد تركها أرضاً محروقة، من يأخذها منه سيأخذها أنثى بلا قلب»^{١٧}، لذلك تجد ثمة ما يشير إلى فعل التناقض في تصرفات طلال ولاسيما تجاه هالة عندما يرتبط الأمر بقدرته على إيهاها بالحب في الوقت الذي يجد فيه فرصة لتمرير فكرة الكره والبغض.

٢. الأناثية وحب الذات:

تبقى موضوعة الأناثية وحب الذات من الموضوعات البارزة في شخصية طلال، فهو يعاني كما يتضح من تداعي الأحداث داخل الرواية من عقد نفسية تتعلق بحب ذاته وتمجيدها لأن الأناثية نزعة لتبني آراء إيجابية حول الذات، وتعزيزها. ويتضمن عادةً رأياً محايياً للذات بشأن السمات والأهمية الذاتية، سواء من الناحية العقلية أو البدنية أو الاجتماعية أو غيرها^{١٨}، لذلك هو يعتمد

على التأثير على الآخرين إيجابياً بالارتباط بهم جسدياً وعاطفياً وثقافياً، وسلطة فوق العادة، وسحر شخصي^{١٩}، وراهننت الكاتبة كثيراً على هذه السمة الإيجابية لدى طلال، إذ طالما كانت محل إعجاب وجذب للجنس الآخر (هالة) «ما الذي جعله لحظتها ألد من قطعة الشوكولا التي تدوب في فمها؟ هو (سيد الشهوات) و(إله الموائد) و(سلطان النشوة) و(الملك)، على قاعة بأكملها لا مستمع فيها سواه، أسرها بقوة شخصيته؟ أم بكل ما فعله لبلوغ تلك اللحظة»^{٢٠}، ولا تقف كاريزمتها عند هذا الحد إذ يحاول طلال أن يوظف طاقاته الشخصية كلها لجعل هالة تحيا حياة خاصة به وتنتقل في عالمه الخاص الذي يصنعه هو لها، لذا فإن بإمكانه مفاجاتها في أدق التفاصيل وأعنفها، فهو شخصية متخمة بالترف والأتكيت (ترجمة) والسياقات الاجتماعية الأرستقراطية العليا.

الثانية: الصورة السلبية:

وفي مقابل ذلك فإن الكاتبة أعطت للقارئ انطباعات كثيرة تمكنه من استشفاف الصورة السلبية لشخصية الرجل نفسه (طلال) وبذلك فإنه يكون شخصية ازدواجية تحمل من الصفات الإيجابية الحسنة بقدر ما تحمل من الصفات السلبية السيئة، ويمكن الوقوف على الشخصية السلبية على أنها تفكر بسلبية واضحة وذات فكر متصلب شديد الجمود غير قادرة على التخلص من آرائها حتى وإن بدا لها خطأها^{٢١}، ولطلال بذلك صورة سلبية تناقض صورته الإيجابية يمكن تلخيصها بما يأتي:

١. الكراهية:

١٢- وحدة النجاح للخريجين، مفهوم الكاريزما، جامعة النجاح الوطنية، عن الأنترنت: career.najah.edu

١٤- الرواية: ١٢٦.

١٥- زياد بركات، التفكير الإيجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة "دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات"، جامعة القدس المفتوحة، برنامج التربية، منطلقة طولكرم التعليمية، فلسطين، ٢٠٠٦: ١٠.

١٦- ملتقى كل العرب، مملكة الإبداع، تعريف الكراهية، أنجل، عن الأنترنت: montadarabi.com.

١٧- الرواية: ٢١٢.

١٨- موسوعة الويكيبيديا، مفهوم الأناثية: ar.wikipedia.org/wiki

تتحرك بانسيابية وبحرية داخل الرواية ولاسيما بعلاقتها مع هالة تلك العلاقة التي تخللها الكثير من الملابس والمشاكل العاطفية والنفسية، إن طلال شخصية مربكة ومشوشة وهو في الواقع «يعاني من كآبة من تتعذر عليه السعادة، كلما اعتقد أنه بلغها، سمع وقع خطاه عائدة به حيث كان»^{١٩}، وذلك يرجع إلى الاضطراب والضبائية التي يعيشها هذا الرجل في ظل دورانه حول محور مجهول لا يعلم المدى الذي سيوصله إليه، كما أنه «اعتاد مع كل علاقة مع امرأة أن يبقى مسافة للغموض، سطوته تكمن في سره»^{٢٠}، إن طلال شخصية ماهرة في نواحي الإثارة والمفاجأة واللعب على الأعصاب لكنها في الوقت ذاته تعاني من اضطرابات نفسية قوية وحادة، لا تؤمن لها الحياة السعيدة الخالية من الاضطرابات والمتاهات وهذا ما يعكس حجم الازدواج والتداخل الذي تعيشه شخصية طلال.

الصورة الانفرادية:

إن الصورة الانفرادية لشخصية الرجل في هذه الرواية تكمن في إمكانية الكاتبة العرض لشخصية واحدة للرجل، إذ يتم فيها اختزال جملة من السمات الحميدة التي يتم فيها عرض الشخصية على أنه ذات طابع أيديولوجي وفكري واحد، وتتميز بحضور إيجابي داخل الرواية، ومن تلك الشخصيات الرجالية شخصية «عزالدين» الشخصية، فلم تعرض أحلام مستغانمي لهذه الشخصية سلوكيات سلبية أو مأخذ عامة، إذ جسدت كل تصرفات عز الدين في دائرة التفاعل الإنساني والعمل الخيري والسعي لإنجاح (هالة) طلال، ليتضح ذلك من خلال الحوار الذي جرى بينه وبين هالة :

«- أنا هنا في مهمة .. قلت أسلم عليك عساک بخير بخير .. شكراً واصلت مازحة بخير ما دمت لا أتابع الأخبار

إلى شخصنة الأمور غالباً فضلاً عن ذلك فإنه يسعى دائماً إلى تلبية الرغبات الخاصة به على حساب الآخرين وخير ما نستدل به على ذلك سعيه إلى الاستحواذ على مقاعد مسرح كامل» لم يكن يفصلها عن الحفل سوى ساعات، حين بلغها أن أحدهم اشترى قبل أيام كل البطاقات، في البدء لم تصدق، صحيح أنه حفل خيري لكن كان في إمكانه أن يشتري كمية من التذاكر والتبرع ببقية المبلغ احتراماً لمن يود أن يحضرها، ما معنى أن يشتري أحد بطاقات قاعة بأكملها، سوى اعتقاده أنه يساوي الحضور جميعاً، لأنه يملك أكثر مما يملكون، وبأي حق يحرم الناس من حضورها، فقط لأنه لا يدري ماذا يفعل بماله، وبيحث عن وسيلة تؤمن له إعلاناً في الجرائد كفاعل خير»^{١٩}، وهذا مؤشر واضح على البعد الشخصي الذي يرغب طلال أن يطبع به الأشياء من حوله فضلاً عن ذلك فإنه لا يتوقف عن فرض ذاته الفريدة بسياقات مختلفة تفهم القارئ بأنه أمام شخصية خارقة، حتى أن أحلام تجرأت في أكثر من مناسبة على وصفه بالآلهة.

٣. اللامبالاة:

إن الغنى المفرط الذي يتمتع به طلال ألقى بظلاله عليه وعلى حياته بشكل خاص، ولاسيما وأنه بدأ ينظر إلى الأشياء بمنظار ضيق ولا يابه بإعطاء الحق لصاحب الحق، لقد عاش حياة من اللامبالاة والعشوائية وعدم التركيز، فاللامبالاة هي الحالة النفسية التي توحى بعدم التفاعل مع الأشياء من حولنا «هو يعاني من كآبة من تتعذر عليه السعادة، كلما اعتقد أنه بلغها، سمع وقع خطاه عائدة به حيث كان»^{٢٠}، فلا شك أنها - هالة - زادت من حالة الارتباك والتشطي الذي يعيشها طلال أثناء مرحلة تعرفه عليها، وهذا جزء من حالة التناقض والازدواجية التي يعيشها طلال.

٤. الإيهام والتشويش:

في كثير من الأحيان كانت شخصية طلال

٢١- الرواية: ٢٦٨.

٢٢- م. ن: ٢٨٠.

١٩- الرواية: ١٠٤.

٢٠- م. ن: ٢٦٨.

للمرأة ”هالة“ ، لذا فإن الرجل هنا كاشف سيتم بحته عبر أكثر من نموذج رجالي، إلى أن يكون كل عنصر رجالي في هذه الرواية مسؤولاً رئيساً عن سمة نسوية معينة:

١- طلال:

إن شخصية طلال من أكثر الشخصيات إثارة للجدل في هذه الرواية وهي من الشخصيات الرئيسية والمهمة، إلا أن هذه الشخصية تميزت بالتلون والتقلب النفسي والاجتماعي والفكري والعاطفي على امتداد أحداث الرواية، وهذا التلون والتقلب سينعكس بطبيعة الحال على باقي شخصيات الرواية، ولاسيما الشخصيات المقربة أو المقربة جداً مثل ”هالة“ ، لذلك أضحي ما يدرُ من هالة من سلوكيات بصرف النظر عن سلبيتها وإيجابيتها إنما هي سلوكيات ناتجة عن سلوكيات الرجل أولاً وأخراً، بيد أن لطلال أثراً واحداً رئيساً تم كشفه في هالة، فإنه وعلى الرغم من حساسية العلاقة التي تجمعها بها إلا أن الكاتبة هنا وظفت -إن لم نقل استخدمت- الرجل للكشف عن مزايا المرأة ومحاسنها، فعلى الرغم من الحالة العاطفية المثلى التي عاشتها هالة وهي تتعلق بكل تفاصيل طلال وأنها تغيرت بما فيه الكفاية لتخلق الأعداء والأكاذيب لتلتقي بحبيبها الأعز طلال، إلا أنه استطاع أن يوقظ فيها أحاسيس إنسانية مناقضة تماماً، تتعلق بعزة نفسها وكرامتها وعنفوانها، فمثلما تمكن طلال من إيقاظ المرأة المحبة العاطفية العاشقة في داخلها فإنها بطبيعة العلاقة تمكن من جعلها تعيش حالة من التحدي والندية معه ”فجأة أصبح الهاتف نوعاً من أنواع الاستبعاد والإهانة أيضاً عندما لا يرد أحد على الطرف الآخر، كما لو أنك لست أحداً، أو لأنه مشغول بما هو أهم منك، طلبته مرتين على جواله، أطل الهاتف الرنين، وعندما لم يرد قررت ألا تعاود الاتصال به، لكنها ظلت في انقطاعها عنه تقيس حجم الإهانة، كما لو كانت تحمل داخلها عدداً (...) كيف تتسى له تقبيلها بذلك الولع، ثم الانصراف إلى شؤونه، كأن شيئاً لم يحدث، كأنها منحته ما اعتاد امتلاكه بحكم ثرائه، لقد

أنتِ محظوظة أنا لا أتابع الأخبار.. بل أتبعها وأين ألتقت بك الحروب؟

ما زلت بين جنيف والعراق، تعبت إنها حرب بسببة أرواح

- أغبطك، لا تتذمر.. في العمل الإنساني، على الأقل لا تكافأ بالجوهر، لأنك لا تعمل لإنسان بل للإنسانية^{٢٢}، وهذه هي المزية الرئيسة التي أرادت أحلام أن تؤكدتها في سلوكيات عز الدين على حساب طلال، إن قيمة الرجولة هنا تتمثل في عامل التضحية الذي يشغل بال عز الدين من أجل الآخر، اللاجئون والمشردون، بينما كانت الأنانية تغلب على تفكير طلال فغالبية تصرفاته تدرج ضمن ما يفكر به هو لإرضاء نفسه وإشباع رغباته النفسية والاجتماعية والعاطفية.

ثانياً: الرجل (الكاشف أم المكشوف):

تراهن الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي على ثنائية (الرجل/ المرأة) في الكتابة الروائية على أنها واحدة من أكثر الثنائيات إثارة للجدل، لكنها سرعان ما تنظر إلى الرجل نظرة اجتماعية نفسية جديدة، ففي معظم رواياتها، لا سيما رواية ”الأسود يليق بك“ تمد أحلام إلى أن تجعل الرجل بمثابة الأداة التي توظفها لكشف ما يمكن أن يميز المرأة عنه، فهي بطبيعة الحال تحاول أن تتنصر للمرأة مرتين، مرةً عندما تجعل المرأة محوراً للكشف والبحث والاهتمام وتميزها عن الرجل، ومرةً ثانية عندما تجعل الرجل الأداة المثلى التي تكشف جماليات المرأة وحساسيتها وإنسانيتها.

يمكن القول إن ”هالة“ في رواية ”الأسود يليق بك“ هي المحور النسوي الرئيس الذي تدور حوله تداعيات الكشف الرجولي، ليتم توظيف الرجل بشكل عام حتى يسهم في إعطاء المرأة شكلها وجوهرها المثاليين، لكن أصناف الرجل في هذه الرواية تمايزت واختلفت بالدرجة التي تؤمن تغطية اختلاف وتمايز وتعدد السمات الإيجابية

٢٢- الرواية: ٢١٩، ٢٢٠.

العزف على العود للتمكن من مسابرة صوتها العذب بالعزف الجميل، لكنها قررت أن تجلب عود والدها وتقومه لدى فراس لما لهذا العود من قيمة عاطفية وإنسانية لديها، ففي الحوار الذي جرى بينها وبين فراس أظهرت ذلك التعلق وذلك الحس الفني المكبوت في داخلها: "يعنيني العود لقيمته العاطفية، في الواقع أنا ابنة الناي، إنه الأقرب لوجداني، لكن إحساسي بالموسيقى تغير، بدأت أميل إلى الكمنجة والبيانو

أجاب:

إن تربيته على الناي يظل يناديك أينما كنت، فتلحقين به، كما لحقت في تلك الأسطورة الطيور والحيوانات جميعها، بأورفيوس، وهو يعزف على نايه.

سألته متعجبة:

- هل تفهم في الناي أيضاً؟

رد مباحياً:

أنا حليبي .. لقد جاءنا الناي مكرماً قبل قرون يوم أقام جلال الدين الرومي في حلب، فهو الآلة الموسيقية الأولى لدى الصوفية، إنه يرافق الدراويش في دورانهم حول أنفسهم أما في المولوية الطريقة التي تنتمي لها عائلتي، فوحدها الدفوف ترافق الراقصين.

علقت بإعجاب:

- يا الله كيف تعرف كل هذا؟

رد مزهواً:

- ما من حليبي إلا وله قرابة بإحدى الطرق الصوفية.

غمرتها سعادة من وقع على سر جميل، لعل هذا ما جاء بأبيها إلى حلب، شعرت بانجذاب روحي إلى هذا الشاب، الذي لا يوحى مظهره العصري، بأن وجدانه يحلق عالياً في سماء المتصوفة^{٢٤}، يشير هذا الحوار الذي جرى بين هالة وفراس

اشترى صوتها مرةً لمدة أسبوعين، لكنه الآن بكل ما يملك من مال، لن يشتري كلمةً منها، وهي قادرة على عنف عاطفي لا عهد له به، ولا يتوقعه من امرأة^{٢٥}، تبدو أحلام مستغانمي هنا وكأنها تتحفز لتحشيد (هالة) على (طلال)، فهي تتمنى بل تتبنى الموقف نفسها منها، حتى أصبحت هالة تعيش الدافع السيكولوجي نفسه الذي يدفعها إلى التصدي له رغم ثرائه.

تسعى أحلام إلى صناعة هذا النمط من التفكير النسائي انطلاقاً مما يدور في رأس الرجل بشكل عام، فالرجل من وجهة نظرها العامل الأساس الذي يجعل من المرأة تبدو أجمل، وكل ما يحاول الرجل إثباته تأتي المرأة لتقضه، وهنا لا يتم الحديث عن الرجل السوي بل الرجل الذي يعاني من اضطرابات نفسية وفكرية حادة، ليكون في نهاية الأمر أداةً في يد الكاتبة تستخدمها لتثبت أن للمرأة وجهة نظر مناقضة له، فهالة هنا ليست إلا صوت للصدية والمقاومة والخصوصية، بل إنها وجدت في مسعاه المتواصل إلى إهانتها والتعامل معها بلامبالاة فرصة حقيقية لتحرر منه ومن سطوته التي جاء بها باسم الحب، هي "لم تفهم كيف أن رجلاً أهدى لها كرم اللحظات الباهظة وبخل عليها بالكرامة"^{٢٥}، فبعد أن كانت هالة تتعامل مع طلال بودية وحب وهيام أضحت الآن لا تتقبل أن تناقش تفاصيله بداخلها ذلك أنه حاول أن يضعها في هامش اهتماماته، أو أنه تجرأ على كرامتها أو اعتدى إنسانيتها.

٢- فراس:

إن شخصية فراس تميل بطبيعتها البيئية والاجتماعية تميل إلى الطابع الفني الإبداعي، فهو عازف على آلة العود كان يتبع الفرق الصوفية الحلبية للإنشاد والغناء، وتجمعه بعائلة هالة علاقة وطيدة ظلت راهنة و متماسكة وفاعلة.

تحاول هالة من خلال فرص لقاءها بفراس في حلب أن تجتهد في التلمذ على يديه في تعلم فن

٢٤- الرواية: ١٥٠، ١٥١.

٢٥- الرواية: ٣٠٧.

٢٦- الرواية: ١٨٩، ١٩٠.

أغانيَ جديدةً لأنك تتوجهين لجمهور لا يعرفك.
- لا أخفيك إن حفلاً كهذا يخيفني
- لا تهتمي .. قد تصعدين على المسرح نكرة، لكن
حين تنزلين منه لن ينسى أحد اسمك، أريدك
يومها أفضلهم، تذكري أنك كما ترين نفسك
تكونين

افترقا على أن يتهاقفا ليحددا موعداً آخر
يزودها فيه بالتفاصيل، أحبت رجولته الشامخة
في تواضعها الجميل، وغيرته على اسمها، إحساس
بالأمان تسرب إلى قلبها، حمدت الله لوضعها هذا
الرجل في طريقها، فما عاد بإمكانها التجديف
وحدها^{٢٧}، يُقرأ في هذا الحوار الذي جرى بين
هالة وعز الدين أبعاد نفسية ووجدانية وإنسانية
كثيرة لطالما كانت هالة بحاجة ماسة إليها، فضلاً
عن ذلك فإن شخصية عز الدين (الرجل) أضحت
الشخصية الكاشفة لما كان مضمراً في شخصية
هالة ولاسيما إنسانيتها وكرامتها وعاطفتها التي
لم تعرف بادئ بدء كيف تودعها، إلا عندما سنحت
الفرصة لها ودخل عز الدين في تفاصيل حياتها
الشخصية، فالمرأة في هذا المحور أضحت الجزئية
التي يقوم عليها فعل الكشف والبحث، أما الرجل
فقد تم توظيفها ليكون العامل الذي يقوم بفعل
الكشف نفسه.

ثالثاً: الرجل - الآخر:

إن إنقسام النوع الإنساني إلى جنسين بات
مفروغاً منه بنظر أكثر الفلاسفات، إلا أن هذه
الفلاسفات لم تتمكن من تفسيره، أما بخصوص
دور كل من الجنسين فهناك اختلاف في الآراء،
فقد كانت هذه الآراء في البداية خالية من كل
أساس علمي ولا تعكس سوى تصورات اجتماعية
عامة^{٢٨}، ثم تطورت تلك الحياة الاجتماعية لتضع
جملة من السمات الخاصة التي تميز الذات عن
الآخر، سواء أكان هذا الآخر رجلاً أم امرأة،
فالآخر مرتبط بالذات والذوات وهي لفظ يدل

في حلب إشارة صريحة إلى طابع الاهتمام الذي
تطبعت به هالة لقد أضحت تفكر في تدعيم
ثقافتها الموسيقية عبر رغبتها التعلم لفن العزف
على العود، فهي بطبيعة الحال شابة مغنية ويعد
ذلك مجال تخصصها، فضلاً عن ذلك فإنها
تصف علاقتها بتلك الآلة الموسيقية بالعاطفية.

إن الشخصية الرجالية المتمثلة بفراس هنا،
أثرت في هالة بوصفها امرأة، امرأة ذات إمكانات
فنية وموسيقية، اكتشفها الرجل، فالكشف هنا
فعل رجالي خالص تسعى مستغانمي من خلاله
إلى تأكيد الحس الجمالي والفني لدى النساء،
ذلك الحس الذي يكون الرجل أداة مرحلية للكشف
عنه والترويج له، فالمرأة ذات إمكانات وقدرات
مكنونة، تسعى مستغانمي في نهاية المطاف إلى
توظيف الرجل لاكتشاف تلك الإمكانات والقدرات
وإبرازها بشكلها الجمالي.

٣- عز الدين:

إن شخصية عز الدين جاءت بوصفها ردة فعل
طبيعية لما سلكته شخصية طلال من سلوكيات
ولاسيما تعاملها مع هالة، فقد اتسم حضور عز
الدين بالطابع الإنساني الوجداني في الوقت نفسه
داخل الرواية، فالكاتبة أو الروائية تمكنت من
خلال صورة هذا الرجل أن تدفع ببعض القيم
الإنسانية والوجداني التي كانت غائبة في شخصية
طلال، إن هالة ظلت طوال فترة قربها من طلال
تفتقد إلى مصداقية الحب لديه كما تفتقد إلى
وعيه العاطفي والإنساني، لذلك فإن الكاتبة تحاول
هنا أن تغذي هاتين سمتين في شخصية هالة عبر
شخصية عز الدين نفسها، فقد قادتها الصدفة
بعد أن أغلقت الأبواب بوجه طلال إلى أن تجد
ضالته في غيره، فمن خلال الحوار الذي جرى
بينها وبين عز الدين يتضح ذلك التواصل الروحي
بينهما:

سألته بلهفة:

- متى يكون الحفل؟

- في ٥ ديسمبر. أمامك شهر للاستعداد اختاري

٢٧- الرواية: ٢٢٢.

٢٨- سيمون ديوفوار: الجنس الآخر، ترجمة: لجنة من أساتذة
الجامعة: ١٦.

صاحبه، عاد العود إلى البيت معلناً موت من ظل رفيقه على مدى ثلاثين سنة، منذ أيام حلب يوم قصد أبوها سوريا، لتعلم الموسيقى، فكان أول عود اقتناه بالتقسيط لفخامته، من الأرجح أن يكون أبوها قد احتفى بالعود، أو أن العود حاول أن يفديه، ويرد عنه الرصاص، فما استطاع بصدره الخشبي أن يتلقى عنه سوى رصاصة واحدة، وذهبت اثنتان نحو رأس والدها فسقط متكئاً عليه^(٢١)، إن صورة الأب - الرجل في هذه الرواية اتسمت بأنها صورة مأساوية بامتياز ولاسيما أنها اقترنت بمصير (أبو هالة) الذي دفع ثمن عشقه وهيامه وهواه النقي، فسقط برصاص مجهول لا لم يعرف أحد الجهة التي قامت به، وهذه الصورة المأساوية الأبوية صورة غالبية وواردة في الروايات عموماً فهي تتعلق بالأب في حين تفترض ضمناً وجود الابن أو الابنة، فإذا استثنينا ما يمكن للأب أن يمتنون به على ذرياته من رحمة ورعاية واهتمام فإننا سنكون أمام خطر الموت كابوس الكهولة، والمرض، والعجز، والالتكأ.

ب - رجل - الأخ:

يمكن أن نتناول صورة الأخ في الرواية على أنها حضور متحقق وفعلي، ولكنها تبدو هامشية في كثير من الأحيان في الرواية النسوية، أي أنها تتسم بندرة وجودها بوصفها شخصية روائية رئيسية، وذلك لأنها صورة ضعيفة التأثير على شخصية البطلة، ويعود ذلك إلى مركزية دور الأب والزوج مقارنة بدور الأخ، وبلي ذلك وجود الابن ثم الأخ^(٢٢)، وبما أن الرواية النسوية تناقش في الأساس جملة من المشاكل النسوية فإن علاقة الأخ بالأخت (البطلة) علاقة اجتماعية تدرج ضمن لائحة العلاقات غير المستقرة التي تعيشها المرأة داخل الأسرة، فمثلما تقتقد علاقة المرأة بالأب والزوج إلى كثير من السياقات التي تؤمن لها حقوقها فإنها تفتقد إلى الطابع الودي الإنساني في علاقتها مع الأخ وهذا يعكس الطبيعة الفكرية التسلطية

٢١- الرواية: ١٥٢

٢٢- عن: صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة" أنموذجاً" ماجدولين ماجد عبد الهادي السيوطي: ١٢١.

على الـ«غير»^(٢٣)، وفي هذا المحور سيتم تناول الرجل بوصفه آخر تنظر إليه المرأة عبر سياقات وأيديولوجيات متعددة ومتنوعة، فكل رجل في رواية «الأسود يليق بك» أضحى بمثابة القيمة الإنسانية والاجتماعية التي تترقبها المرأة من الرجل:

أ: الرجل - الأب:

تعدُّ شخصية الأب في الرواية العربية والرواية النسوية بشكل خاص شخصية فاعلة وذات أهمية مركزية، فضلاً عن كونها شخصية تؤسس الخطاب وتعزز مركزيته الأيديولوجية الفكرية، كما "يحتل الرجل بصفته أباً موقفاً ذا خصوصية في الأسرة العربية، حيث يشتغل بحكم موقعه في الصدارة إذا ما قورن بموقع المرأة في نفس الأسرة، فالأسرة العربية بصفة عامة لا تقاوم الميول الاستقلالية لأفرادها فحسب، بل تقاوم الفردية وكل ميل إلى الفردية"^(٢٤)، فالأب هو المسؤول الرئيس عن رعاية الأسرة وهذا ما يؤمن له ارتقاء الصدارة في الفعل والكلام وأغلب السلوكيات الحياتية الأخرى.

تتجسد صورة الرجل في رواية «الأسود يليق بك» لأحلام مستغانمي في صورة الرجل الصوفي الزاهد المغني المنشد الذي راح ضحية ذلك الطابع الإنساني المرير عندما أقدم على اغتياله مجهولون بتهمة الغناء، فالرصاصتان اللتان اخترقتا رأسه تبعتهما ثالثة تستقر في العود الذي كان بين يديه، إنه أبو هالة تركها مع أمها التي اكتوت بنار الفقد، وعذاب الرحيل، تبدو السمات والامتيازات التي تركها أبو هالة لابنته كثيرة ولاسيما فيما يتعلق بصوته العذب وعلاقته الروحية بالغناء والإنشاد، فورثت منه إلى جانب تلك المعاناة بفقد صوته عذباً وشجياً «كان العود قد اقتسم الرصاص مع سيده، كما يقتسم حصان النيران مع صاحبه في المعركة، وكما يعود حصان جريحاً حاملاً جثة

٢٣- ضوابط الحوار مع الآخرين، سعد عبد الله عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد (١٦)، العدد الأول، ٢٠٠٨: ٨٦.

٢٤- ماجدولين ماجد عبد الهادي السيوطي: صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة" أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، بإشراف: الدكتور نادر قاسم، ٢٠١٢: ٩١.

ج - الرجل - الزوج:

إن رواية «الأسود يليق بك» تتفرد في أكثر القضايا التي تتناولها، فهي تتميز عن الرواية النسوية العربية في آليات الطرح والمعالجة، فضلاً عن ذلك، فإنها تتعد عن التقليدية والنسوية قدر اقترابها من أساليب سردية حكاية حديثة؛ فصورة الرجل التي كانت محورا رئيسا في الروايات النسوية العربية، وحصلت على اهتمام فكري وسردي كبير^{٢٠}، لم تتناولها أحلام في روايتها هذه على هذا النحو، بل جاءت صورة (الرجل / الزوج) بشكل مقتضب وهامشي، إذ إن الصورة الزوجية هنا لم تحضر إلا في صورة طلال الزوج، المتزوج وله عدة بنات من زوجة يدعي أنه يحبها «ما أريده هو صبي .. صبي يحمل اسمي، يرث ثروتي، يحرس شرفي.. لكنها أمنية مستحيلة، زوجتي لا تستطيع أن ترزق بطفل ثالث وهذه قسمتي في الحياة، لن أطلقها ولن ألجأ لذرائع دينية لأتزوج عليها، إنها أم بناتي وأنا أحبها»^{٢١}، إن الأحداث بشكل عام وضعت طلال في مقدمة الشخصيات الرئيسية في الرواية إلى جانب هالة، وعلى امتداد الأحداث كان هو العاشق المتيم الولهان لثتى أنواع النساء، ولم يرد ذكره على أنه زوج إلا في مرة أو مرتين على امتداد صفحات الرواية، فإلى جانب الشح الذي وردت به صورة الرجل الزوج في الرواية، تعكس أحلام هنا ما يمكن أن يدلل العلاقة غير السوية والهامشية التي يتعمد بعض الرجال معاشتها مع زوجاتهم، فهي عكست ذلك الطابع الحياتي الهامشي المر الذي تتجرعه كثير من النسوة من لدن أزواجهن، لأن إشكالية التهميش واللامبالاة حالة تعرض لها أحلام فعلى قدر عرضها بشكل مقتضب وبسيط فإنها تلفت الانتباه وتشير إلى ذلك إشارة واضحة.

د- الرجل - الحبيب:

لا بد أن يراهن الروائي في أكثر الروايات تراجيديا على الجانب العاطفي والوجداني،

٢٥- صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة" نموذجا" ماجدولين ماجد عبد الهادي السيوطي: ٩٨.
٢٦- الرواية: ٢٧٦.

التي يؤمن بها الأخوة على الأخوات، داخل البيت الواحد والأسرة الواحدة. أما رواية أحلام «الأسود يليق بك» فإنها تعرض لصورة الرجل (الأخ) على نحو مغاير تماما لما عهدته معظم الروايات النسوية، فعلاء الأخ الوحيد لهالة الذي يعمل طبيبا في المروانة تجمع بهالة علاقة ملؤها الحب والود والاحترام، ويرجع ذلك إلى المصاب الذي أصاب العائلة بفقده عندما التحق بالجماعات الإرهابية في الجزائر، واغتيل على أيدي مجهولين بعد ذلك، كما اغتيل أبوه من بعد ذلك، إذ تتسم العلاقة بين هالة وأخيها بأنها علاقة أخوية وودية ومثالية بين أخوين ظلت الأخت تعاني من افتقاد أخيها الذي ضل في طريق الجحيم «نزل علاء من الجبال، مع آلاف (التائبين) الذين سلموا أنفسهم إلى السلطات بعد الضمانات التي قدمت لهم، لم يتب عن القتل، فما اغتال سوى أوهامه، كان يحلم بالعودة إلى بيته، كما يحلم البعض ببلاد بعيدة موعودين بها، وعندما عاد إلى أهله اكتشف أنه لم يعد إلى نفسه، اهتز سلامه الداخلي أصيب بحداد نفسي ودخل واقع اللاواقع منزلقا نحو الفصام، لفرط ما راكم في سنتين من سنوات، ما عاد له من العمر ولا اسم، ظل لأيام يفاجا عندما يناديه أحد باسمه، يأخذ بعض الوقت قبل أن يرد، ريثما يصدق أنه المعني، وأنه ما عاد (أبو إسحق) بل علاء»^{٢٢}، فعلاء الأخ الذي ورث لأهله ولأخته بالذات الحرقة والعذاب عندما تم اغتياله بعد أن عاد إلى بيته بأيام عندما كان في محطة الاتصال ينتظر أن تجيبه هدي «كان الخط مفتوحا ولا أحد يرد سوى صوت طلقات رصاص اخترق دويها سماعا المقصورة»^{٢٣}، لذلك ظلت هالة طوال فترة غيابه الأبدية تستذكر علاقته الحميمة بها، فعلاقته بها ليست علاقة عابرة كيف لا وأنها اتخذت من الأسود علامة حياتية لها بعد رحيل الأب والأخ، ودفعها ذلك لأن تتخذ القرار مع أمها بترك الجزائر والسفر إلى حلب والاستقرار فيها.

٢٢- الرواية: ٨٩.

٢٤- م. ن: ٩٨.

بالتابع السلبي والعبثي إلا إنه يحاول على الدوام أن يتجرد من تبعيات المواقف السابقة ويتخصص للمواقف اللاحقة، لتبدو صورة طلال الرومانسي صاحب الإحساس الجميل صورة مثالية بعد أن أدى أدواراً أخرى تعكس طابعه الفكري المنشج والضيق.

خاتمة البحث:

سعى هذا البحث إلى مقارنة رواية «الأسود يليق بك» لأحلام مستغامي، تلك الرواية التي تناقش إشكالية من إشكالية العلاقة والجنوسة بين الرجل والمرأة، إن صورة الرجل في هذه الرواية، أخذت منحاً متعددة، فعلى مستوى حضورها الفاعل داخل الرواية فإنها حضرت بفاعلية واضحة، إيجابياً وسلبياً، فثمة شخصيات رجالية ظهرت بنمط ازدواجي واضح، فتارة تبدو شخصيات فاعلة وهادفة وتنتج عنها جملة من القيم الإنسانية الوجدانية الفاعلة كالحب والكرم والإيثار والإصرار والحضور، وتارة تبدو الشخصيات نفسها شخصيات ذات حضور سلبي ومضطرب وغير منظم وتنتج عنها شخصيات كثيرة كالكره والأنانية واللامبالاة والتشويش والإيهام وهذه القيم السلبية والإيجابية السابقة تمثلت في شخصية طلال، إحدى الشخصيات الرئيسية داخل بنية الرواية، بينما أظهرت شخصية عز الدين النسق الموحد من السمات الشخصية عندما تلتزم بأداء فعلي محدد وواضح.

إن أحلام مستغامي بوصفها كاتبة نسوية تحاول أن توظف الرجل بإمكاناته المتنوعة ليعمل بوصفه كاشفاً لإمكانات المرأة غير المحدودة، فطلال وعز الدين وفراس شخصيات رجالية فاعلة حضرت في الرواية بشكل أو بآخر لتوظفها الكاتبة من أجل تأكيد قيم إنسانية وجدانية متفرقة للمرأة (هالة) فالإحساس بالإنسانية والكرامة والعاطفة وروح العمل والحس الفني أمور وقيم عالية ما كانت لتظهر على هالة لولا احتكاكها بالشخصيات الرجالية هذه، كما أن الرجل بطبيعته الاجتماعية والفكرية والنفسية تختلف انطباعاته عن الأشياء

فاتخاذ الرواية نسقاً روائياً معيناً لا يعني إلغائها للأنساق الأخرى، ووجود شخصية مثل طلال، لا تفكر إلا بنفسها وتستمتع بالنظر إلى الشخصيات بطرائق استعلائية مريبة لا يعني خلوه من شخصية نقية محبة تحبذ النفس الرومانسي العاطفي، ولا يعني ذلك تنازل باقي الشخصيات عن هذه السمة الإنسانية الفاعلة، فقد تضمن هذه الرواية صورة الرجل المحب أو العاشق أو الحبيب، في أكثر من شخصية روائية أبرزها شخصية طلال عز الدين، فطلال فعل كل شيء من أجل الوصول إلى قلب هالة بينما فعل عز الدين الشيء الأقل قبل الوصول إلى القلب نفسه، هذا طلال ملك الرومانسية يخطط لأشهر من أجل بلوغ لحظة حب هائلة، عندما سألته ذات حوار:

- هل تكتب الشعر حقاً؟

- أكتبه؟! لا تلك هواية المفلسين، أنا أعيشه بإمكانك أن تصنعني من كل يوم تعيشينه قصيدة - أضاف بعد شيء من الصمت - لي مثلاً معك دواوين شعر سأطلعك عليها يوماً قالت مندهشة:

- معي؟

أجاب كمن ليطمئنهما:

- المشاريع الجميلة قصائد أيضاً .. كهذا العشاء مثلاً، سبعة أشهر من المثابرة على الحلم والتخطيط له من أجل بلوغ لحظة كهذه، أليس وجودنا هنا نصاً شعرياً^{٣٧}.

هكذا تبدو الصورة البهية للرجل العاشق ذي الإحساس المرهف داخل بنية الرواية، وثمة إشارات كثيرة داخل الرواية تؤكد وجود هذا النمط من الشخصيات الرجالية التي تراهن على الرغم من قلتها على الجانب الدرامي والعاطفي، وذلك يعطي انطباعاً بتنوع الشخصيات داخل الرواية من جهة وقدرتها الفاعلة على صناعة فرادة نسقية من جهة ثانية، فعلى الرغم من الأدوار التي انتهجتها شخصية طلال على امتداد الرواية التي توجي

٣٧- الرواية: ١٢٢، ١٢٤.

لسيمون دي بوفوار، كيف تفكر المرأة، مكتبة معروف إخوان، المركز العربي للنشر، الاسكندرية

ماجدولين ماجد عبد الهادي السيوطي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية «سحر خليفة» «أنموذجا»، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، بإشراف: الدكتور نادر قاسم، ٢٠١٢: ١٢١.

ملتقى كل العرب، مملكة الإبداع، تعريف الكراهية، أنجل، عن الأنترنت: montadarabi.com.

موج عراك عليوي، الازدواجية الشخصية عصبية الانتماء والولاء الوطني "دراسة اجتماعية تحليلية"، جامعة بابل، عن الأنترنت: www.pdfactory.com

موسوعة الويكيبيديا، مفهوم الأنانية: ar.wikipedia.org/wiki

نسيمة طير، التجربة النسوية الروائية الانكليزية رواية "ليل لا ينتهي" لـ (أغاثا كريستي) نموذجا، رسالة ماجستير، بإشراف: د. ليلي جباري، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١: ١١، وينظر: النسوية في النقد الأدبي - محاضرة قدمت في الجامعة الأردنية - ٢٥/١١/٢٠١٢، علي نصوح مواسي - شاعر وكاتب من فلسطين عن الأنترنت: arabs48.com/?mod=articles&ID=78673

وحدة النجاح للخريجين، مفهوم الكاريزما، جامعة النجاح الوطنية، عن الأنترنت: career.najah.edu

المحيطة به تبعاً لمتغيراته الخاصة، فالرجل بوصفه آخر، فالرجل الأب ليس كالرجل الذي يقع موقع الأخ والأخ ليس كالزوج أو الحبيب، إذ أعطت هذه التصنيفات جميعاً أبعاداً اجتماعية مختلفة ومتنوعة لشخصية الرجل داخل الرواية، فبقدر كونها رواية ذات شخصيات محدودة وليست كثيفة إلا أنها تتميز بالتنوع والتمايز في المواقف والأفكار والأيديولوجيات على امتداد أحداث الرواية.

المصادر والمراجع:

أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، دار نوفل، ٢٠١٢: ٢٧٦.

حسني إبراهيم عبد العظيم عضو هيئة التدريس، الخطاب النسوي والجسد «رؤية موجزة»، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة بني سويف، عن الأنترنت: montadarabi.com/t3155-topic

زيد بركات، التفكير الإيجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة "دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات" جامعة القدس المفتوحة، برنامج التربية، منطقة طولكرم التعليمية، فلسطين، ٢٠٠٦: ١٠.

سعد عبد الله عاشور، ضوابط الحوار مع الآخرين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد (١٦)، العدد الأول، ٢٠٠٨: ٨٦.

سيمون ديوفوار، الجنس الآخر، ترجمة: لجنة من أساتذة الجامعة: ١٦.

عبد الله ناصح علوان، الإسلام والحب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة: ٨.

فيليب هامون، سميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣: ٧٩.